الفصل الأول

❖ لمحة تاريخية عن تطور المطاعم عبر العصور

إن التطور الوافي عن صناعة الضيافة وتطورها عبر العصور ينبغي إن يأخذ شكلا متكاملا من مراحل النمو الاجتماعي الذي يعكس صورة حية لما نراه اليوم بعد تطور الحياة العصرية في المجتمع عموما ذلك ان علم الضيافة هو الأسلوب التعبيري عن حياة الإنسان بما يمثله ذلك من مأكل ومشرب وترفيه ، كما إنها تخلق إشكالا تجارية وصناعية تثبت القيم الإنسانية في المجتمع وتنعكس أيضا على ما يدفع من مبالغ وقيمتها تجاه الفرد ، سواء في منطقته أم خارجها . لقد مرت الضيافة خلال العصور التاريخية بمراحل عديدة وفرت للإنسان الحماية والأجواء والمأكل والمشرب

وعند استعراض العصور القديمة نرى إن فلسطين ومصر من البلدان الأولى التي أنشأت دور الضيافة للتجار المنتقلين والمسافرين آنذاك .

. ولو انتقلنا إلى دولة بابل ونينوى لرأينا إن الاشكالات الفندقية والمطعمية حينذاك كان يملكها بعض التجار ولو عدنا إلى الناحية المحاسبية لوجدنا إن هذه المطاعم كانت تتبع طريقة تسديد الحساب لمن احسب ضيوفها الدائمين بعد بيع المحاصيل الزراعية بشكل فصلي أو شهري .

وإذا انتقلنا من الوطن العربي إلى روما القديمة نشاهد إن بيوت الضيافة فيها قد أعدت على شكل محطات متناثرة بين مفترق الطرق التي تربط بين المدن ، حيث كانت تستقبل المسافرين المتعبين من مشقة السفر وتوفر لهم مستلزمات الطعام والشراب والراحة ليواصلوا رحلاتهم إلى الجهة التي يقصدونها . كما إن حكومات هذه البلدان كانت تفرض رقابتها وسيطرتها على هذه البيوت لتأمين الحماية للضيوف وبطريقة التفتيش وابراز ما يثبت الشخصية لمن أراد المبيت خوفا من اللصوص وقطاع الطرق .

أما تطور نظام الضيافة عند الإغريق فقد اخذ صيغة خاصة نظرا للمظاهر الدينية . حيث كانت الضيافة ظاهرة خاضعة لارضاء الآلهة فقد خصص من منازل الناس لضيافة الزوار واطعامهم نذرا للآلهة . وظهرت كذلك أشكال المطاعم وفنادق بسيطة بالقرب من المعابد وأماكن الكهانة تشبه الخانات .

وتكرر ذكر المطاعم والفنادق في كتب الرحالة والجغرافيين العرب ووصفوا من خلال رحلاتهم بلاد الأندلس وزخرفة بيوتها ومطاعمها وجمال السياحة فيها كالهندسة والفن المعماري في هياكل البناء .

وفي العراق ذكر اسم الحانات التي انتشرت في الموصل وتكريت حيث كان لها شكل مميز في النظام والبناء والتجانس من حيث الديكور ونوع المادة التي تباع فيها . كما شيد صلاح الدين الأيوبي في مدينة دمشق ما يسمى بخان سلطان ، جعله مثلا للكمال من حيث البناء والهيبة في الديكور ، وجعل له بابا من حديد . وتلك هي الطريقة التي كانت تبنى بها الخانات وفيها عين ماء تجري في قناة داخل الأرض وتنبثق منها المياه من

وسط الحانة على شكل حوض . وكان يقدم فيها كل وسائل الراحة والإيواء من مأكل ومشرب ومبيت واعتبروه اجمل ما في المدينة آنذاك .

هذا ويعتبر خان مرجان في بغداد من الخانات التي تدل على طرازها المعماري الحضاري ، وقد تأسس عام ١٣٥٩ م (٧٦٠ هـ) بأمر من أمين الدين مرجان الذي كان حاكما على بغداد آنذاك . وكان في بدية الأمر يحوي على مسجد ومخازن للبضاعة ومطابخ وأحواض مياه وحضائر للماشية وحمامات وغرف نوم أو الاستراحة ومقهى وخانات لبيع اللوازم التي يحتاجها المسافر . ومن وظائف الخان التي أنشئ من اجلها التجارة حيث يتم خزن البضائع وبيعها في الخان وسكن التجار واطعاهم وسكن الحجاج واطعامهم أيضا .

أما في العصور الوسطى فقد اخذ نظام الضيافة أبعادا أخرى في التطور الحضاري حيث استقر الناس ضمن مفهوم حياتي جديد ، وبدأت تظهر المنازل والمطاعم المريحة بما يريح ضيوفها ونزلاءها . وعلى سبيل المثال ازداد عدد الفنادق والمطاعم في مدينة الموصل في القطر العراقي إلى حد إن أهالي المناطق البعيدة كان يغريهم القدوم إليها حيث بساطة الحياة واعتدال الأسعار . كذلك برزت في تونس الكثير من أنواع المطاعم التي أصبحت مركزا تجاريا سهلا لكثير من القوافل حينذاك .

وفي حوض البحر الأبيض المتوسط ازدهرت الحركة التجارية الأمر الذي ساعد على تطور هذه الصناعة ، وبدأت تظهر المطاعم آنذاك بأشكال جميلة ومريحة تخدم ضيوفها وتهيئ أناسا لهم القابلية على خدمة أولئك الضيوف .

وظهرت الأشكال الفندقية والمطعمية في العصور الوسطى في أوربا وتطورت نتيجة لاتساع التجارة في عصر النهضة فانتشرت الفنادق والمطاعم في ألمانيا على امتداد الطرق الخارجية لإيواء واطعام وتسلية التجار واستضافتهم .

وبدأ منذ ذلك الحين هذا الشكل من أشكال الضيافة المدفوعة يتطور مع مرور الزمن وحتى يومنا هذا .

وفي نفس الفترة ، ظهرت الكثير من المعوقات في إنكلترا لان الطرق كانت سيئة جدا بحيث لا يتمكن المسافرون بعرباتهم وبضائعهم الوصول بسهولة إلى المناطق الأخرى لوجود قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا ينتشرون في هذه الطرقات ومفترقاتها . الأمر الذي جعل المسافرين لا يحملون أوزانا وبضائع ثقيلة ولا يواصلون السير ليلا . مما ساعد على نشوء وانتشار الفنادق والمطاعم في هذه المفترقات ، لسد حاجة المسافرين وأمنهم ، والمحافظة على ممتلكاتهم وقد ظهرت قوانين تلزم العاملين في هذه الأشكال من بيوت الضيافة لتوفير الخدمة الكاملة والطعام والشراب والأمن للضيوف .

وفي نهاية العصور الوسطى بدأت الاختراعات والاكتشافات تظهر بشكل يخدم الإنسانية ، إذ تطورت وسائط النقل والمواصلات التي ساعدت على تنشيط الحركة السياحية وتطور الفنادق والمطاعم انسجاما مع ما يجري من تطورت في جمال البناء والعمران والتكنولوجيا .

يلاحظ مما تقدم ان المطاعم مرت بمراحل عديدة وأخذت أشكالا مختلفة عبر العصور تلبية لحاجة الإنسان منذ القدم وحتى يومنا هذا الذي نلاحظ فيه انتشار المطاعم بأشكال عديدة ومتميزة وبتكاليف باهظة ، وتقدم أنواع